

٢٥ حبة

شروق إلهامي

- أتدريين أنني هنا الآن بسببك؟
- لاحظت هذا.
- وانني آتي يوميًا هنا منذ ما يقارب الشهر فقط لأراك، بالرغم من أنك لم تلاحظيني!
- بل لاحظتك.
- حقًا؟!
- نظراتك فضحت اهتمامك.
- لماذا تجلسين وحدك؟
- أمرٌ لا يعنيك.
- ألا يشفع لي الشهر في دك أسوار الصمت.
- حسنًا، هي قصة طويلة ملخصها أنني أهرب لهننا من الناس، وفي ذات الوقت أبحث عن حلٍ لمشكلتي.
- وهي؟
- مُصِرٌّ؟
- نعم؟



أتى النادل ووضع أكواب العصير التي تطفو على سطحها مكعبات الثلج الصغيرة، فطلت من عينيها أشباح سوداء شديدة الطول تأملتنا بسخرية ثم عادت لعينيها وتوارت مجددًا، فتهمدت الفتاة بعمقٍ تهيدٍ حارة أذابت الثلج في كوبها ففاض، ولكنها لم تعبًا لذلك.

كانت بيضاء شديدة النحول والشحوب، كنت أظن هذا البياض الشاهق مساحيق تجميل، ولكني حين جلست معها اليوم عن قرب وجدت أن وجهها يخلو من أية مساحيق، بل يخلو من الدموية نفسها إن رغبت توضيحًا أكثر، كمثلي أدوار مصاصين الدماء، شعرها أسود قصير يتراقص بحرية على جانبي وجهها، وخلال الشهر الذي جلست أتابعها فيه رأيت في عدة أشكال فقد كان طويلًا في البداية، وكانت تقصه حينًا وتصففه أحيانًا، وأحيانًا أخرى تتركه مبعثرًا، ومؤخرًا قصته وقصرته هكذا، فأعدتُ هذا الأمر لنفسيتها ليس إلا، فهي بشكلٍ واضح لا تعبًا بنظرات أحد، هي فقط تأتي لتظل تتأمل النيل من السادسة حتى التاسعة في صمتٍ بلا أي شعور بالملل.

ارتشفت من كوبها الممتليء لنهايته بالماصة؛ ليصبح العصير في مستوى معتدل ثم أحاطت الكوب بمنشفة المنضدة، وجففته وبعدها احتضنته بصعوبة بكفها الأيمن لصغر حجم يديها، ثم مدت كفها الأيسر والنقطت يدي ووضعتها علي عنقها بشكل أدهشني وأخرجني في ذات الوقت وقالت بجديّة:

- حل العُقد عن رقبي .

لأول مرة أنتبه لهذا العِقد رغم أنها ترتديه يوميًا، كنت أراه من مكاني البعيد من قبل كحبات لؤلؤية الشكل بدرجة لون بيضاء داكنة كالعاج يحيط بعنقها في دلال، ولكن اليوم وأنا بجانبها رأيته بشكل أوضح أفزعني، تلك الحبات كانت جماجم صغيرة تصطف حول عنقها، جماجم تذكرك بأجواء عبدة الشيطان قديمًا، وكان العِقد ضيق بحيث أنه يجب أن يكون له طرف يفك منه لذا بتردد قمت ووقفت خلفها لأبحث عن هذا الطرف فلم أجده بنظري، وترددت أكثر أن ألمس رقبتها في أول مرة أجلس معها فيها، ولكن انحناءة رأسها للأمام لتسهيل المهمة لي دفعته لأن أكمل ما قمت لأجله فلمست العِقد أولًا ولكن أفزعني رد الفعل وجعلني أقفز للخلف بشكل ملفت للأنظار.

لقد أنكمش نحو عنقها وكأنه يرفض أن يقترب منه أحد، اقتربتُ بترددٍ أكثر ومسكت العِقد ولكن سرعان ما سحبت يدي مجددًا حين وجدت أن فك كل جمجمة منهم بدأ يتحرك للأعلى وللأسفل بقوة وسرعة، وكأنها تعض شيء أو تهدد بعض أنامل من يقترب منها، فوقفت أمامها مندهلاً فاغراً فيّ، فعدلت الفتاة رأسها ومدت يدها أمسكت ذراعي وأعادته للجلوس أمامها، وكنت أطيعها مسلوب الإرادة كالطفل الصغير.

عادت تشرب عصيرها وهي تنتظرني حتى أفيق من صدمتي، وقد أخذت دقائق حتى تمكنت من العودة لوعي وإدراكي، وتمكنت من صف كلمات في جملة ذات معنى في رأسي لكي أنطق بها فسبقتني هي وألغت جدوى تلك الجملة بكلماتها!



- لماذا حكيت لك في أول حوار بيننا؟ إصرارك دفعني لقول الحقيقة لأبعدك، هذا العِقد اشتريته منذ عدة أعوام من بائعه متجولة مرت عليّ هنا، كانت حياته مجرد كُرى مستديرة كاللؤلؤ، يربطهم ببعض حبل مطاطي متين ولكن مرن، قابل للتمدد لنزع العِقد عن الرقبة، كان رخيص الثمن ورقيق الطابع فلفت نظري فاشتريته، ولكن من وقتها كلما مات قريب لي يتغير شكل كرة منهم، تأخذ شكل الجمجمة ولكن بلا ملامح، ثم أنتهت أن زيارة الموت أصبحت متكررة بشكل مكثف مخيف، والكُرى تتغير واحدة تلو الأخرى، خفت ونزعته عني، ولكن بعد فترة غلبي فضولي، والشكوك بعدم منطقية استنتاجي جعلتني أعيد ارتدائه، فرحلت أُمي، أغلي من أملك، ويوم وفاتها وجدت العِقد قبض علي رقبتني، وحياته ظهرت ملامحها وأصبحت بشكل جماجم واضحة، بل وامتنع عن أن ينزع بواسطتي أو بواسطة غيري، بتلك الألية الدفاعية التي رأيتها منذ قليل، وفشلت بكل الطرق في نزعها، فأصبحت آتي إلى هنا بشكل دوري لعلي أجد من باعتني إياه، أو أجد جراً تجعلني أتخلص من وجودي في النيل وأنقذ الناس.

- تنقذي الناس؟ ماذا تقصدين؟

- أنقذهم من الدخول في حياتي.

- لا أفهم.

- حتى لا يخسروا أهلهم.

- ولكن...



وقبل أن أكمل جملي رن هاتفي المحمول ووجدت أخي يبلغني بوفاة أحد أقاربنا، ورأيت ابتسامة جانبية ساخرة صغيرة باهتة كملامحها، رغم أنها علي مسافة مني تمنعها من سماع ما قاله أخي ولم أرد عليه بكلمات، ناهيك عن أن المكان عام والأصوات حولنا تمنع ذلك تلقائيًا.

- أهرب بسرعة.

فقممت في صمت، لست أدري أنادمًا على الشهر المهدر من حياتي علي أمر مستحيل، أم علي وفاة قربي أم عليهما؟! نكدت النادل تكلفة مشروبينا وبعد أن سار نظرت لها نظرة أخيرة فوجدت رأسها محنٍ للأمام وشعرها يغطي ملامحها، ولكن قطرات سقطت وشت بأنها دموع ولكن بعد ثوان اعتدل رأسها وعادت لتأمل النيل في صمت.

